*نماذج من دراسات المتأدبين (2)*

*بحث فى دراسات بلاغيه*

إعداد أ/ منة الله مجدى محمد

*قسم اللغة العربية*

*كلية اللغات – جامعة المدينة العالمية*

*شاه علم – ماليزيا*

*menna.magdy@mediu.ws*

**خلاصة ـــ هذا البحث يبحث في نماذج من دراسات المتأدبين**

**الكلمات المفتاحية : الشعر ، البديع، الحديث**

1. **المقدمة**

**الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، سوف نتحدث في هذا المقال عن نماذج من دراسات المتأدبين**

1. **عنوان المقال**

**ويتحدث ابن رشيق، عن المخترَع والبديع في الشعر، وقد جعل الاختراع للمعنى، والإبداع للفظ وما يتصل به من دقة التصوير، ويأخذ ابن رشيق، بعد ذلك في الحديث عن البديع وفنونه، ذاكرًا أن أول من صنف فيه، ابن المعتز، ونراه يستهل فنونه بالمجاز، ويذكر بعض أحاديث ابن قتيبة عنه، وهو إنما أراد به طرق القوم التي تحتاج شيئًا من التأويل، ويؤكد أن المجاز أبلغ من الحقيقة، ولا يلبث أن يقول: إن البلاغيين خصُّوا به بابًا بعينه، وذلك أن يُسمى الشيء باسم ما قاربه، أو كان منه بسبب، على أن هذا الباب لم يتضح في نفس ابن رشيق وقد أدخل فيه أمثلة من الاستعارة والتشبيه والكناية، ومعروف أن البلاغيين بعده جعلوا المجاز عَلمًا على الاستعارة، والكناية والمجاز المرسل، والعقلي.**

**ويخرج ابن رشيق بعد هذا إلى التجنيس، ويذكر أقسامه عند علي بن عبد العزيز الجرجاني، وغيره مضيفًا أقسامًا جديدة، وهي أقسام تحولت عند المتأخرين حين شعبوا فنون البديع إلى فنون مستقلة، وقد فرع منها ما سماه الترديد، وسمى رد أعجاز الكلام على ما تقدمها عند ابن المعتز باسم التصدير، تحدث عن الطباق والمقابلة والتقسيم، وأدخل فيه الترصيع، وسمى: التوشيح عند قدامة، وأبي هلال باسم: التسهيم، ثم تحدث عن التفسير متابعًا قدامة فيه، كما تحدث عن الاستطراد ناقلًا فيه عن الحاتمي، وشعب منه نوعًا سماه التفريع، وهو أن يقصد الشاعر وصفًا ثم يفرع منه وصفًا آخر، يزيد الموصوف تأكيدًا.**

**تحدث بعد ذلك عن الالتفات، مُوردًا كلام قدامة، وابن المعتز فيه، وتابع أبا هلال العسكري، وخاله أحمد، في تسمية توكيد المدح بما يشبه الذم، باسم: الاستثناء، وتابع قدامة، في التتميم إلَّا أنه أشار إلى أن ضربًا منه يسمى احترازًا، ثم تحدث عن المبالغة، والغلو، وأورد اختلاف النقاد والبلاغيين فيهما، بين مستحسنٍ ومستقبح.**

**وانتقل إلى الإيغال كما صوره قدامة، والعسكري، ولقَّب ما سمَّاه ابن المعتز: تجاهل العارف، بلقب التشكك، ونراه يقطع حديثه في فنون البديع؛ ليتكلم عن الحشو واستدعاء القوافي، أو قُل غصبها، وكأن ما فتح هذين البابين؛ ليصحح الموقف، فمن الحشو ما هو مستحب، وجعل من فنون البديع التكرار، متابعًا في ذلك لأبي أحمد العسكري، ثم تحدث عن المذهب الكلامي، وصرح بأنه نقله هو وأمثلته نقلًا عن عبد الله بن المعتز، وفتح بابًا سمَّاه: نفي الشيء الإيجابي، قال: إنه ضرب من المبالغة، مثل قول القائل: سرت على طريق لا يهتدى بمناره، وهو لا يريد أن له منارًا لا يهتدى به، ولكنه يريد أنه ليس له منار البتة، وفتح بابًا ثانيًا، لما سمَّاه: الاضطراب، وأراد به أن تطرد أسماء آباء الممدوح من غير كلفة.**

**وتحدث بعدُ عن التضمين؛ مستمدًّا من ابن المعتز، وقال: "إنه قصدك إلى البيت من الشعر أو القسيم -أي: الشطر- فتأتي به في آخر شعرك أو وسطه"، وأشار إلى المعنى الثاني للتضمين، وهو تعليق القافية بأول البيت الذي بعدها، وعرض هنا للإجازة، وهي بناء الشاعر شطرًا على شطر آخر لشاعر غيره، أو بناؤه بيتًا على بيت لزميل له، كما عرض للتمليط: وهو أن يتساجل شاعران، فينشد أحدهما شطرًا أو بيتًا، ويكمل الثاني الشطر أو البيت، وعدَّ من البديع، ما سمَّاه باسم: الاتساع، وهو أن يأتي في البيت من الامتداد في معناه ما يجعله يؤوَّل تأويلات مختلفة.**

**وتحدث عمَّا سمَّاه: الاشتراك، والتغاير: وهما ضربان من ضروب السرقات الشعرية المستحسنة، وكان حَريًّا به أن يؤخِّر الحديث عنهما إلى الباب الخاص بالسرقات.**

**وعلى هذا النحو، درس ابن رشيق فنون البديع، وواضح أنها كانت تضم في عصره الصور البيانية، وأهمية دراسته لا ترجع إلى الفنون الخالية التي أضافها منوهًا بها، وهي الاتساع، والاضطراب، ونفي الشيء بإيجابه، والتفريع، والترديد، والتتبيع، وإنما ترجع إلى أنه استوفى قراءة أكثر ما سبقه من مصنفات، ونص في مواضع كثيرة على المصنفين الذين استمد منهم، وقارن بين آرائهم، وأشار إلى اختلافهم أحيانًا في ألقاب بعض المصطلحات، ومضى يتحدث عن موضوعات الشعر وأغراضه الأساسية؛ فبدأ بالنسيب، وطلب فيه حسن الخروج إلى ما يليه من المديح والهجاء.**

**وينتقل بعد ذلك إلى المديح، وينقل فيه كلام قدامة، في: (نقد الشعر)، وما دعا إليه من بنائه على الفضائل النفسية.**

**ولعل في كل ما سبق، ما يصور قيمة: (العمدة)، في تاريخ البلاغة، وأن هذه القيمة ترجع إلى دقة جمعه للآراء المتقابلة في فنونها المختلفة.**

**أما كتاب: (سر الفصاحة)، لابن سنان الخفاجي، فقد ألَّف هذا الكتاب أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي، الحلبي، المتوفى سنة 466 للهجرة، وقد عُني فيه بتفسير الفصاحة، وما يُطوى فيها من الصور البيانية والبديعية، ونراه في مقدمته للكتاب، ينوِّه بفائدة الوقوف عليها من معرفة نظم الكلام ونقده، وتبيين خصائصه الجيدة والرديئة، وفي معرفة بلاغة القرآن، سواء لمن يرى أنها كانت فوق طاقة العرب، أو أنها كانت في طاقتهم، وبعبارة أخرى، سواء لمن يرى أن القرآن خرق العادة بفصاحته، ومن يرى أن العرب صُرفوا عن معارضته.**

**أما الأولون فيتبينون وجه إعجازه، وأما الآخرون فيتحققون مما يزعمون من أنه كان في مقدور العرب، وصرفهم الله عن محاداته، والإتيان بمثاله، حتى أننا نجد ابن سنان، يُعلن رأيه صريحًا في الإعجاز القرآني ، وهو يمضي في المقدمة، ويذكر أنه سيقدم للكلام، يعني: الفصاحة، بنُبَذ من أحكام الأصوات، ومخارجها، وتأليفها، وكيف أن في العربية مهملًا ومستعملًا، وكيف نشأت، أمواضعة أم توفيقًا، ويقول: إنه سيستمد من المتكلمين في كلامهم عن الأصوات، وأنه سيضيف إلى ذلك كلامًا في المخارج، ومجهورها، ومهموسها، مما كتبه النحاة، وأكبر الظن أنه انتفع في ذلك كله بما كتبه علماء تجويد القرآن من مباحث قيمة.**

**وأخذ ابن سنان، بعد انتهائه من هذه المقدمة يتحدث عن الفصاحة، بادئًا ببيان الفرق بينها وبين البلاغة، وجعلها خاصة بالألفاظ، بينما جعل البلاغة عامة في الألفاظ والمعاني، وبذلك كان كل كلامٍ بليغ فصيحًا، ولم يكن كل فصيح بليغًا، وهو فرق اصطلاحي ظلَّ شائعًا بعده عند جمهور البلاغيين إلى يومنا هذا، وربما كان ابن سنان، أول من اصطلح عليه، وعرف البلاغة تعريفات استمدها مما كتبه الجاحظ في بيانه، وأطال بعد ذلك في وصف فصاحة الكلمة المفردة، وردها إلى ثمانية أشياء هي:**

**أن تؤلف من حروف متباعدة المخارج حتى لا تثقل على اللسان، وأن تحسن في السمع، وأن تكون كما قال أبو عثمان الجاحظ: غير متوعرة وحشية، وأن تكون كما قال أيضًا: غير ساقطة عامية، وأن تكون جارية على العرف العربي الصحيح في التصريف والاستعمال، وأن لا يكون معناها اللغوي القديم قد هُجر، وأصبحت تدل على شيء كريه، وأن لا تكون كثيرة الحروف، ككلمة مغناطيسهن، في قول ابن نباتة، أحد شعراء سيف الدولة:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **فإياكم أن تكشفوا عن رءوسكم** | **\*** | **ألا إن مغناطيسهن الذوائب** |

**وأن لا تصغر تصغير تعظيم على نحو ما يصنع المتنبي بكثيرٍ من الألفاظ، وكل هذه الصفات في فصاحة الكلمة، لخصها البلاغيون المتأخرون في قولهم: إنها خلوص الكلمة من تنافر الحروف، والغرابة، ومخالفة، القياس اللغوي، أو الصرفي، غير أن ابن سنان، فصَّل ذلك تفصيلًا واسعًا، واستشهد فيه بأمثلة كثيرة.**

**وخرج من ذلك إلى تفصيل الحديث في فصاحة الكلام، لاحظ أنه لا بد فيها أولًا من الشروط الثمانية التي ذكرها في الكلمات المفردة، ثم أخذ يبحثها من حيث التأليف.**

**وينتقل ابن سنان، إلى ما يختص بالتأليف من الأصول والمقومات، وأول أصل ومقوم عنده، هو وضع الألفاظ موضعها حقيقة أو مجازًا، وتندرج فيها مباحث:**

**منها أن لا يكون في الكلام تقديم وتأخير يفسدان.**

**ومنها: حسن الاستعارة، وقد كتب فيها طويلًا مفيدًا من الرماني، ومناقشًا للآمدي في بعض تحليلاته للاستعارات في موازنته بين أبي تمام والبحتري، كما ناقش الخفاجي، علي بن عبد العزيز الجرجاني، في بعض تحليلاته لاستعارات المتنبي، وأبا بكر الصولي، في بعض تحليلاته لاستعارات أبي تمام.**

**ومن الوضع الصحيح للألفاظ لدى ابن سنان، أن لا تكون فيها معاضلة: وهي تراكب الكلام وتداخل بعضه في بعض، ويشير هنا إلى غلط قدامة، في فهم معنى المعاضلة، وتبيين الآمدي لخطئه، ويتحدث صاحب: (سر الفصاحة)، عن جمال السبكي، ويعرض لرد الأعجاز على الصدور، وللتوشيح، ويقول: إن بعضهم يسميه التسهيل، ومن الوضع الصحيح للألفاظ، أن لا يُعبَّر عن المدح بالألفاظ المستعملة في الذم، ولا في الذم بالألفاظ المعروفة للمدح، وتساق في الجد ألفاظه، وفي الهزل ألفاظه، ويدخل في ذلك أيضًا حسن الكناية في الموضع الذي لا يحسن فيه التصريح.**

**ومن الوضع الصحيح للألفاظ مما أشار إليه، أن لا يُستعمل في الشعر المنظوم والكلام المنثور، ألفاظ المتكلمين، والنحويين، ومعانيهم، وأن لا تستعمل كذلك الألفاظ التي يختص بها أهل المهن، والعلوم الأخرى، وكان سيل ذلك قد أخذ يطوم في عصره، عند أستاذه أبي العلاء وغيره، وقد حمل على بعض شعره ونثره.**

**ويمضي ابن سنان، إلى أصل ثانٍ من أصول التأليف، هو المناسبة بين الألفاظ، إما من طريق الصيغة، وإما من طريق المعنى، وأدخل في الطريق الأولى ما سماه المتأخرون: بمراعاة النظير، وقال: إن منها السجع، والازدواج، ويستطرد الخفاجي بعد ذلك إلى الحديث عن القوافي، ويحمل على أبي العلاء؛ لالتزامه ما لا يلزم في قوافي شعره، وفواصل سجعه، ويطلب من الشعراء أن لا يفتتحوا قصائدهم بما يتطير منه أو يستكره، وأن يتحرزوا من الإقواء، وغيره من عيوب القوافي، ومن التضمين، ومن قطع جزء من الكلمة في آخر البيت وإكمالها في البيت التالي.**

**ومن التناسب عنده، الترصيع، ويذكر منه حمل اللفظ على اللفظ في الترتيب، وهو ما أسماه البلاغيون المتأخرون باسم: اللفِّ والنشر.**

**ومن التناسب عنده أيضًا، الاعتدال في الزحاف، وعدم الإكثار منه في الشعر، ومن التناسب أيضًا، الجناس، ويخرج ابن سنان الخفاجي، من ذلك إلى التناسب بين الألفاظ من طريق المعنى، ويذكر أن معنى اللفظتين إما أن يكون متقاربًا، وإما أن يكون متضادًا، ويجعل من شروط الفصاحة؛ الإيجاز، وحذف فضول الكلام، ويلاحظ أن الإيجاز يُطلب في مواطن، ويطلب الإطناب في مواطن أخرى، وتقوم بينهما المساواة، وهي أن يكون المعنى مساويًا للفظ.**

**ويقول متابعًا للرماني: "إن الإيجاز إما إيجاز قصر، وإما إيجاز حذف، ويجعل من الإطناب التذييل، كما يجعل الإشارة، واللمحة الدالة، من الإيجاز؛ إذ هما لفظ موجز يدل على معنًى طويل".**

**ويقول: إن من شرط الفصاحة والبلاغة، أن يكون الكلام واضحًا ظاهرًا جليًّا"، ويذكر أيضًا من نعوت البلاغة والفصاحة؛ الإرداف، والتتبيع، وهو ضرب من الكناية مثل: بعيدة مهوا القرط، كناية عن طول العنق، والاسم الأول وضعه قبله قدامة، ووضع الثاني بعض المتأخرين، واكتفى به ابن رشيق في التسمية، كما أسلفنا، وسمَّى العسكري الباب، باسم: الإرداف والتوابع، وجعل أيضًا من نعوت البلاغة والفصاحة التمثيل، وهو عنده، كما عند قدامة، وابن رشيق، يتطابق مع ما سماه أبو أحمد العسكري، باسم: المماثلة؛ إذ يشمل الاستعارة التمثيلية، وبعض صور الكناية.**

**ويتحدث ابن سنان، عن الكلام في المعاني المفردة، ويبتدئ بصحة التقسيم، ويقول: "إنه ينبغي أن يتجنب فيها الاستحالة والتناقض، ويذكر من صحة المعاني صحة التشبيه، ويتحدث عنه حديثًا مفصلًا، يستمد فيه من الرماني، وما قاله من أن حسنه يرجع إلى تشبيه الخفي بالظاهر المحسوس، وينتقل إلى صحة الأوصاف في الأغراض، بحيث يتطابق الكلام شعرًا ونثرًا مع ما يوجه إليهم، ومع الأحوال والمقامات.**

**ويفصل القول في صحة المقابلة، ثم يتحدث عن صحة النسق والنظم، ويجعل منه حسن التخلص من النسيب إلى المدح، وما سماه أبو تمام، باسم: الاستطراد، ويعرض ما قاله قدامة في صحة التفسير، وينتقل إلى المبالغة في المعنى والغلو فيه، ويذكر اختلاف النقاد وأصحاب البلاغة فيهما، بين مستحسن، وغير مستحسن، ويذكر الاحتراس، ويسميه: التحرز مما يوجب الطعن، كما يذكر الاستدلال: وهو نفس ما سماه أبو هلال، باسم: الاستشهاد والاحتجاج، وفرع منه ضربًا سماه: الاستدلال بالتعليل، وهو نفس ما سماه البلاغيون بعده، باسم: حسن التعليل، ويعرض بعد ذلك لبعض آراء النقاد في الشعر، وبعض آراء القدماء والمحدثين، وواضح من تناولاته أنه يعترف بمراجعته لمن كتبوا قبله في البلاغة والنقد، وقد شكا من اختلافهم في تلقيب بعض الفنون على نحو ما مر بنا.**

**ووقف بعد ذلك يقارن بين الشعر والنثر، وما يقال في تفضيل أحدهما على الآخر، وما يحتاجه مؤلف الكلام إلى معرفته من علوم اللغة والنحو، وما يحتاجه الشاعر من معرفة علمي العروض والقوافي، وأخبار العرب وأنسابهم، وأمثالهم، وما يحتاجه الكاتب من بعض ذلك، ومن معرفة فنون المخاطبات ورسوم التقليدات، مع الاطلاع على كتاب الله وشريعته، والحديث النبوي، لما يكتب فيه من تقليد الولاة، وعهود القضاة، والتوقيعات في المظالم.**

**ويختم ابن سنان، الكتاب بوصية الشاعر والناثر، بعدم التكلف والاسترسال مع الطبع، وفرط التحرز، وتجنب الإسهاب.**

**وفي الجملة فكتابه: (سر الفصاحة)، عالج فنون البلاغة والبديع في ثنايا حديثه عن سر الفصاحة؛ إذ هي عنده تشمل حسن اللفظ، وحسن المعنى، بالضبط كما أطلقها من قبله أبو هاشم الجبائي.**

**وقد نقل عنه مرارًا في حديثه عن الأصوات والحروف، وفي بعض صور الكلام، مما يدل على أنه هو الذي ألهمه اسم كتابه، وقد جمع فيه كل محاسن الكلام في رأيه مع تحليلات لبعض الأبيات، ومناقشات دقيقة لمن سبقوه في عرض بعض وجوه البديع.**

**ولعلنا لا نبعد إذا قلنا: إن صور البديع الأساسية ضبطت ضبطًا دقيقًا منذ القرن الرابع الهجري، بخلاف صور علمي المعاني، والبيان، فقد كانت ولا تزال تفتقر إلى ضبط أدق، أما علم المعاني فكل ما جاء فيه إنما كان نظرات جزئية متفرقة، أو متناثرة، لا تجمع بينها نظرية عامة، وأما علم البيان، فتحددت حقًّا صوره من تشبيه ومجازٍ، واستعارة، وكناية، ولكنها كانت لا تزال تنتظر من يرسم حدودها، وشعبها رسمًا دقيقًا؛ بحيث تتألف منها نظرية متشابكة تعمها وحدةً متناسقة؛ وهذا ما قام به الإمام عبد القاهر الجرجاني، والسكاكي من بعده خير قيام.**

**تلك كانت أهم دراسات المتأدبين المنهجية في مجال النقد، ونلحظ بها مدى كثرة احتوائها على عيون مباحث البلاغة، بديعها، وبيانها، ومعانيها.**

**المراجع والمصادر**

1. **القزويني ، زكريا بن محمد القزويني تحقيق: محمد السعدي فرهود ، (الإيضاح في علوم البلاغة) ، طبعة رقم1، سنة النشر: 2001 م**
2. **الجرجاني، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، (دلائل الاعجاز) ، ط5، مكتبة الخانجي، 2004م.**
3. **أبو موسى، د. محمد محمد أبو موسى، (دلالات التراكيب دراسة بلاغية) ، القاهرة، مكتبة وهبة للطباعة والنشر والتوزيع، 1987م**
4. **المراغي، أحمد مصطفى المراغي، (تاريخ علوم البلاغة و التعريف برجالها) ، القاهرة، مكتبة و مطبعة مصطفى البابي، ط1، 1950م**
5. **فيود ، د. بسيوني عبد الفتاح فيود ، (علم البيان: دراسة تحليلية لمسائل البيان) ، القاهرة، مؤسسة المختار ، دار المعالم الثقافية، الإحساء ، ط 2، 1998 م**
6. **الخوارزمي ، الشيخ يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي الملقب بسراج الدين السكاكي، (مفتاح العلوم) ، لبنان، مكتبة المقهى، نشر دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ، 1987م**
7. **الشاطئ، عائشة بنت الشاطئ، (التفسير البياني) ، مكتبة المجلس، الطبعة الأولى، 1962م**
8. **فيود، د. بسيوني عبد الفتاح فيود، (علم البديع: دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع) ،القاهرة، مؤسسة المختار، 2004**
9. **الصعيدي، عبد المتعال الصعيدي، (البغية على الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة) ،مكتبة الآداب، 1999م**
10. **شاهين، كامل السيد شاهين، (اللباب في العروض و القافية) ،القاهرة، الهيئة العامة لشئون الأميرية، 1978م**
11. **القيرواني، ابن رشيق القيرواني، (العمدة في محاسن الشعر وآدابه) ،الناشر: دار الكتب العلمية، 2001م**
12. **أبو موسى، د. محمد محمد أبو موسى، (التصوير البياني) ،القاهرة، مكتبة وهبة للطباعة والنشر والتوزيع، 1997م**